obeikandl.com

بين العقل والنقل

(الفلسفة والدين)

obeikandl.com

وهب الله الإنسان العقل الذي يتدبر به أمره، وميزه عن بقية الكائنات الأخرى، فلا العقل بحد ذاته قادر أن ينتج هذه المعرفة الحقيقية، أو الوصول الى حقائق الأمور، وبدليل أنه قد استكمل بالشريعة، ولا الشريعة بحد ذاتها يمكن أ ن توجه الفرد بدون أن يكون هناك تقبل من قبل العقل للوصول إلى المعرفة، ويبدأ العقل يستحث الخطا للمحاكمة في الأمور الغيبية التي يعجز عنها في بعض الأحيان ليدرك صاحب العقل بأنه قاصر أمام خالقه، وأيضاً هذه عبودية بحد ذاتها لله عز وجل، وتتفاوت العقول فيما بين البشر، وتختلف من شخص الى آخر لتكون أيضاً مسألة الإفهام لمبادىالشريعة على قدر عقول البشر، وذلك بالتأويل المنطقي، اختلفت الفرق والمذاهب حول مسألة التأويل لتلك المسائل التي جاءت بها الشريعة، مع العلم أنه لا تعارض بين الحكمة والشريعة، فكلاهما مكملان لبعضهما البعض .

فالعقل المحض الذي انتج الفلسفة الإغريقية، ومهما بلغ يبقى قاصراً لأنه أعتمد على المحسوسات، وعندما ولج الميتافيزيقيا ضلّ الطريق، ولكن عندما تتالت الرسالات السماوية أعطت الإجابات بدلاً من أن تتوجه العقول إلى نتاج فكري آخر، وأن العقل بحد ذاته كان متقبلاً كل الشرائع ولم يجد تعارضاً، وإذا خيّل للبعض من المفكرين أن هناك تعارضاً فهو مجرد قصور في العقل، وفي كلا الحالين إدراك بأن العقل لوحده ليس بقادر على اكتشاف الحقائق، فجاء حاكم الشريعة مكملاً لصور الحقائق، ولما كان هناك من حاجة إلى الأنبياء، والرسل إن لم يأتوا بما يفوق عقول البشر من معجزات، وخوارق .

لقد اعتمدت الفلسفات القديمة على الأدلة العقلية، وعلى المعرفة اليقينية في تقرير معتقداتهم، وهؤلاء من أنصار العقل من الدهريين الذين أنكروا وجود الله، ويزعمون قدم العالم، ويؤمنون بالتطور، من الطبيعيين اعترفوا بوجود الخالق، ولكنهم فسروا النفس الإنسانية تفسيراً مادياً في حين أخفقوا عندما أنكروا البعث، والحساب، وقد جانبوا الحقيقة عندما قالوا إن لهذا العالم علة، ومحدث، ونظرية الجوهر الفرد، ومهما تتالت الأسئلة تظل في حالة ريبة وشك بالنسبة لهم مهما ابتدعوا مسوغات للمسائل الإلهية .

وهنك أيضاً فلاسفة إلهيين مثل سقراط، وأفلاطون، وأرسو، ولكن أيضاً لم يخل الأمر من تكفير تفكيرهم، وتكفير من أخذ عنهم من الفلاسفة المسلمين من أمثال الفارابي، وابن سينا .

فكلما اختلفت ادراكات عقول الناس اختلفت آراؤهم، واعتقاداتهم، وفي طبيعة الحال عندما يقوم العقل بإفساح الحرية سيكون هناك آراء كثيرة، وقد تكون متطابقة أو مسايرة لبعضها البعض، ونجد أيضاً الاختلاف والتضاد .

مما أدى إلى تكوّن هذه الفرق الإسلامية، والملل والنحل في الإسلام، وكذلك في الأديان الأخرى، وحتى في العلوم العقلية المحضة، لابد أن يكون هناك اختلاف .

مما دعا إلى أن كل فرقة تكفر الأخرى، حتى لم يعد يعرف منهج التكفير بمثل ما جاء من معنى"، فمنهم من يرتكز على نظرية عقلية يدعم آراءه بالشريعة،والحجة الملحنة، ومنهم من يدعم تفسيره، وتأويله

لما جاءت به الشريعة بالكلام المعقول، والمنطقي وفق رؤى، واتجاهات قد صاغها المجتمع، وقد يكفر فيما بعد، فهل هذا هو الأساس الذي تسير عليه الجماعات، والأديان من أجل التواصل، والابتكار، وتتشابك الغايات، والسبل .

وصفوة القول ستظل مسألة العقل والنقل هي مجال للبحث وراء الحقائق، ولايمكن لأحد أن يدعي بامتلاك الحقيقة المطلقة، والتي هي خارجة عن حدود العقل، وهي بحد ذاتها مسألة عقلية، ونقلية .

ليس من الضروري أن نتناول هنا بالبحث أول مسألة تخطر ببال من يكتب في الفلسفة الإسلامية، وهي : هل يوجد في الإسلام فلسفة تعالج المشاكل الفلسفية بطريقة أصلية حتى يمكن لنا أن نسميها فلسفة إسلامية.

وإذاً لا نرى ما يدعونا لمناقشة الرأي القائل بأن العرب لم يكونوا في هذه الناحية إلا مجرد نقلة للفلسفة الإغريقية، وأطلق عليها اسم (فلسفة إسلامية)، فإن ما يدعونه فلسفة عربية، أو إسلامية ليس إلا فلسفة يونانية كتبت بحروف عربية، وهذا كل شيء .

وللتدليل على ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن للإسلام فلسفة عربية، وذلك إذ (إن العرب مثلهم في هذا مثل فلاسفة العصر الوسيط، متعللين بشرح (أرسطوطاليس) أمكنهم أن يخلقوا لهم فلسفة مليئة بالعناصر الخاصة بهم ومختلفة تماماً بلا ريب عن الفلسفة التي كانت لدى اليونان)[٢٠].

(٢٠) بين الفلسفة والدين ـ في رأي ابن رشد ـ د. محمد يوسف موسى ـ ص:٥

obeikandl.com

وكذلك لا نجد حاجة لإثبات أن الرأي الحق، هو أن العرب قد وقفوا على ما أوحاه الله إلى رسوله (عليه الصلاة والسلام) بدأت عقولهم في التفكير، مدفوعة بعوامل عديدة، وأحسوا الحاجة إلى فهمه والتعمق فيه، وإلى بيان ما اشتمل عليه من حقائق دينية، تكونت منها العقيدة الإسلامية، لكنهم من أجل الوصول إلى هذه الغاية، قد استعملوا طرق الفلسفة الإغريقية، التي عرفوها من زمن بعيد، والتي ازدادوا معرفة بها بعد عصر الترجمة .

نحن لا نناقش هذا الرأي أو ذاك، ونكتفي بالقول بأن موضوع هذا البحث، هو بيان موقف الغزالي بين الفلسفة والدين .

أهو موقف الميل نحو الفلسفة على حساب الدين ،؟ أي هل كان يرى أن الحق هو ما أدى إليه النظر الفلسفي،؟ عند ذلك يجب إذاً تفسير العقائد الدينية، والحقائق التي جاء بها الوحي الإلهي، على هذا الأساس أم كان موقفه بين هذين الطرفين هو العكس، أي أنه حاول جر الفلسفة إلى الدين الذي يجب الإيمان به أولاً ؟.

إذ نرى أن وجوب تأويل بعض النصوص المقدسة، من القرآن والسنة تأويلاً مجازياً لطبقة خاصة، هي من أجل الاستدلال، والفلسفة .

نلاحظ أن هذا التأويل، كان معروفاً عند فلاسفة اليونان، وغير اليونان.

إذ كان من الضروري الكلام عن التأويل المجازي، لبعض النصوص الدينية، عند سابقي الفلاسفة الإسلاميين إن صح التعبير .

" ثم يكون الكلام بعد هذا عن تطبيق ما وضع من مبادئ وأصول، لنعرف كيف استدل للعقائد الدينية التي جاء بها الوحي استدلالاً يوافق كل طوائف الناس جميعاً على اختلاف مداركهم وعقولهم ومواهبهم وذلك في غير ضرر ولا تحيّف للدين أو الفلسفة"[٢١].

وفيما يختص برد ابن رشد على الغزالي، نراه يتعقبه فيما قصده خطوة بعد خطوة، إذ يبني أن الفلسفة متفقة مع الدين بل أنه يأمر بها وإذاً فهي غير حرية بالذم، وذلك بتأويلها تأويلات تبعدهم عن الكفر، وفي النزاع على مدى قدرة العقل على الوصول للحقيقة .

إن تأويل نصوص القرآن، والحديث التي تتصل بالفلسفة، وتقسيم الناس إلى طبقات لكل منها طريقة خاصة، في فهم الدين، وفي المعرفة تناسب عقلها، ومداركها، والأمر كذلك حين نقارن مذهبه، وطريقته في هذه الناحية بما كان من أفلاطون،و فيلون، وحين نقارن مواقفه في مسائل الدين والفلسفة بآراء سابقيه من المتكلمين والمفسرين والفلاسفة . كما سنحلل الدوافع التي دفعت الغزالي إلى الرد على الفلاسفة والتنكيل بهم .

(٢١) نفس المصدر السابق ـ ص:٩

obeikandl.com